

## شرح وتحليل وتفسير

### للحن "شيري ني ماريا"

(مرد الإبركسيس الكبير)

تأليف: جورج كيرلس

#### ◆ المناسبة التي يقال فيها:-

لحن كبير للعدراء يقال قبل قراءة الإبركسيس وكلمة "ابركسيس" يونانية تعني عمل أو فعل. وهي الفصل الذي يقرأ من سفر "أعمال الرسل" في قداس الكلمة. وهو السفر الخامس من أسفار العهد الجديد.

وقد ظل فصل الابركسيس مثل بقية الفصول الكتابية الأخرى يُرتل كله بالقبطية بلحنه الخاص به في الكنيسة القبطية مع مقدمته "أعمال أبائنا الرسل، بركتهم المقدسة تكون معنا آمين" ومع خاتمته "كلمة الرب تنمو وتزداد وتعزز وتثبت في بيعة الله المقدسة آمين".

واستمر ذلك حتى إلى زمن البابا الاسكندري غبريال الثاني (بن تريك) (1131-1145م) الذي أمر في قانونه العاشر أن يُعلم الآباء أولادهم في البيوت كل صباح دروساً في اللغة العربية كما أمر أن تتلى القراءات الكنسية باللغة العربية في الكنيسة بعد قراءتها بالقبطية. وكان تعريب البلاد قد بدأ بالفعل سنة 706 م.

كما توجد اشارة طقسية عند القس أبو البركات ابن كبر، قس كنيسة العدراء المعلقة بقصر الشمع بمصر القديمة، والتي يتضح منها استقرار قراءة الفصول بالعربية بعد قرائتها بالقبطية. (يرجع إلى كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لابن البركات المعروف بابن كبر الجزء الثاني – الباب 13).

ومع توالي القرون وازدياد انتشار اللغة العربية على حساب اللغة القبطية، تقلصت القراءة الملحنة لفصل الابركسيس إلى المقدمة وآيتين والخاتمة. (المرجع: معجم المصطلحات الكنسية – الجزء الأول).

ومرد الأبركسيس هو "ربع" آدام يقال بلحنه الخاص وأكثر مردات الأبركسيس منتخبة بعضها من الأبصلمودية لتكون متوافقة مع اليوم الحاضر، إذ لكل عيد "مرد أبركسيس" خاص به، إلا أنها جميعها لها نفس الصياغة اللحنية. وجميعها ينتهي بالجملة:

"مبارك أنت بالحقيقة مع أبيك الصالح"

(المرجع: اللألي النفسية في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة الجزء الأول).

### ◆ لغة اللحن :-

بالرغم من أن كلمات اللحن ليست ثابتة كما أشرنا – إذ أنها تتغير حسب اليوم الحاضر - إلا أنها عادة ما تكون باللغة القبطية. (مرفق ترجمة لمفردات اللحن: شيري ني ماريا)

### ◆ أسلوب أدائه :-

وهو لحن جماعي يؤديه الخورس بمصاحبة الناقوس والمثلث كتهيئة لقراءة فصل من سفر أعمال الرسل.

وإذ لمرد الأبركسيس لحناً طويلاً مقسماً إلى مقاطع ستة تعد كمقدمةً للحنه الثابت المعروف الذي أشرنا إليه – وهو ما سوف نتعرض له بالشرح – لذا كان من المناسب أن يتم تقسيمه مرابعة بين خورس قبلي وآخر بحري، أو بين خورس ومرنم منفرد بأسلوب الأنتيفوننا. حتى يعطي ذلك احساساً بالتقسيم الداخلي لجملة اللحنية ولمقاطعته الموسيقية الستة.

### ◆ المقام الموسيقي وسرعة أداء اللحن :-

لحن شيري ماريا الكبير متعدد المقامات، فيبدأ بمقام فا الكبير ثم في المقطع الخامس يتحول إلى مقام بياتي على درجة "النوى" أي درجة "الصول".

### ◆ الشرح والتأمل :-

"هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني"

لقد تحققت هذه الآية التي نطقت بها شفتا العذراء مريم بوحى من الروح القدس ضمن نشيد التعظيم، لتجعل الشعراء والموسيقيين والمنشدون جميعهم يتسابقون في تطويب العذراء

مريم وليكون هذا اللحن الكبير لهذه الكلمات الجميلة "السلام لك أيتها الحمامة الحسنة"، هو إحدى هذه التطويبات.

إنما هذا الفنان الروحي الموسيقي المبدع في روحانياته الذي صاغ هذا اللحن، لم تكن رأسه المقدسة ممتلئة بالنغمات فحسب، لكن سيرة العذراء العطرة، وفضائلها العديدة والرموز التي جاءت عنها في العهد القديم وألقابها، مع صلوات الأجيال وفي القديس وفي الأبصلمودية المقدسة، كل هذه القاعدة العريضة من البيانات الروحية كانت أيضاً تملأ رأسه وقلبه وكيانه، الذي بات ينبض بكل ما فيه من إيقاعات موسيقية تخرج لكي ما ترسم للعالم كله صورة نغمية للسيدة العذراء ممتلئة عذوبة وصفاء.

### ❖ الجزء الأول من اللحن:

يبدأ اللحن أول ما يبدأ بنغمات ثابتة عريضة ملؤها القوة لكنها في كل نهاية مقطع منها تميل إلى الإنحناء إلى أسفل إلى الاستسلام. إنه ملخص حياة العذراء "القوة والثبات في الإيمان بكل ما يقوله لها الملاك وإلهامات الروح القدس، والتسليم والخضوع في كل شيء. التسليم لقيادة الروح القدس عند اختياره بإخضرار عصاة يوسف النجار البار مع الحمامة التي استقرت فوقه، ليأخذها إلى بيته رغم أنها كانت عاقدة العزم على ان تبقى بتولاً، وهو الفكر الذي لم يكن يخطر ببال فتاة يهودية في ذلك العهد.

ثم تسليمها العجيب لما قاله الملاك في بشارته رغم صعوبة الأمر عليها، بل على البشرية كلها ورغم لحظة الاستغراب الضئيلة التي قالت فيها للملاك:

**"كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً"**

إلا أنها قدمت في شخصيتها هذا التسليم العجيب وقالت:

**"هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك"**

كيف تجتمع القوة مع التسليم؟ أنها العذراء، وأنه أيضاً لحن العذراء الذي رغم القوة التي فيه إلا أنه ينحني حيناً بعد حين معلناً أن القوة لا تمنع التسليم بل تؤكد وتبعد عنه كل ما يمكن أن يصفه بالضعف.

ويمضي اللحن ليصور إلى جوار روح التسليم التي تميزت بها السيدة العذراء، ليصور روح التواضع التي كانت ترفرف على حياة العذراء فإختارها الرب ورضيها مسكناً له.

فمن هذه التي كانت تستطيع أن تحتمل كل هذا المجد والبهاء العظيم الذي به استدعى  
"والدة الإله". من هذه التي تستطيع أن تحتمل أن يقال لها:-

**"الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلك"**

**والقدوس المولود منك، يدعى ابن الله"**

من هذه التي تستطيع بعد كل هذا المجد، أن تظل متضعة ومنسحقة وتتحني في تواضع  
وتقول :

**"هوذا أنا أمة الرب"**

لذلك فاللحن يصور ذلك بنغمات ترتفع وتختال في عظمة وبهاء، لكن بعد ذلك تنخفض  
وتتحني في تواضع جم لينتهي الجزء الأول من اللحن بسلسلة من المتواليات الإنخفاضية  
جميعها تؤكد شخصية العذراء الممثلة في التسليم والتواضع الحقيقي الذي ليس بالقول فقط  
"**هوذا أنا أمة الرب**"، لكنه بالفعل الذي فاق القول إذ ذهبت لتصير "**خادمة**" ليس للرب فقط  
بل لأليصابات نسيبتها الحبلى بإبن في شيخوختها.

### ❖ الجزء الثاني من اللحن:-

أما الجزء الثاني من اللحن فهو إعادة كاملة دون حذف أو تغيير للجزء الأول، وكان هذا  
الآب القديس الذي صاغ هذا اللحن، يريد أن يؤكد على أهمية التسليم والتواضع في حياة  
العذراء، أو كأنه في الجزء الأول يستعرض ذلك في حياة العذراء، أما في الجزء الثاني فكأنه  
يطلب منا أن نتمثل به في حياتنا وان نكرر هذا النموذج الذي قدمته العذراء في تسليمها  
وتواضعها.. في حياتنا فنتشبه بها ونتمثل بفضائلها.

### ❖ الجزء الثالث من اللحن:-

ويبدأ الجزء الثالث مثلما بدأ الجزء الأول والثاني بنفس جملة بدايتهما، الجملة الممتلئة قوة  
مع التسليم والإنحاء، إلا أن اللحن سرعان ما يبدأ يتصاعد بتدرج نحو العلو حتى يصير  
صارخاً في حدته وقوته، وكأنه جاء ليصور هذا المشهد الرائع للعذراء القديسة مريم أم  
المخلص وهي تذهب مسرعة نحو الجبل إلى مدينة يهوذا، وتدخل بيت زكريا لتتقابل مع  
أليصابات في **حبرون** المدينة المقدسة – مدينة رؤساء الكهنة – عين كارم.

أما أليصابات فتتفتح عيناها وتدرك بإلهام الروح القدس عظمة تلك التي دخلت عليها وما تحمله في أحشائها من سرٍ دفين فتصرخ بصوت عظيم وتقول:

**"مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك"**

واللحن يصرخ ويرتفع مع صوت صراخ أليصابات وكأنه يعبر عن هذا المشهد التاريخي، لقاء الجنين الزائر في بطن العذراء مريم الذي هو يسوع مخلص العالم، والجنين المزار وهو في بطن أليصابات يرتكض بابتهاج الذي هو يوحنا المعمدان.

إنه لقاء تاريخي بين مريم التي تمثل كنيسة العهد الجديد هذه الفتاة العذراء التي نالت قدرة من الله على الحمل بمعجزة خاصة، لتلد وهي بتول عذراء المسيح مخلص البشرية، وبين أليصابات التي تمثل إسرائيل العتيق، هذه المرأة المسنة من سبط لاوي التي هي من بنات هارون من أسرة كهنوتية ورعم أنها كانت عاقراً إلا إنها أيضاً نالت قدرة من الله على الحمل بمعجزة خاصة لتلد السابق للمسيح هذا الذي قيل عنه أنه:

**"الصوت الصارخ في البرية، أعدوا طريق الرب".**

إن اللحن في تصعيده النغمي وصراخه الذي يصل إلى درجة الحدة والقوة، إنما جاء ليعبر عن هذا اللقاء الرهيب بين من هي رمز لكنيسة العهد الجديد الشابة الفتية ومن هي رمز العهد القديم والكهنوت الموسوي. وليصور صرخة أليصابات "مباركة أنت في النساء" مع حركة الجنين بابتهاج في بطنها، وكان النغمات أيضاً تحمل بين أطرافها هذا التيار الجارف القوي المغير المحرك، تيار الروح القدس الذي بدأ جريانه من يوحنا في بطن أليصابات أمه ثم للمسيح بتكريسه على نهر الأردن، ثم إلى يوم الخمسين حين حل على التلاميذ كألسنة نار منقسمة على كل واحد منهم فطفقوا يتكلمون بألسنة ويبشرون بالخلاص وتمام قيامة الرب ومجده.

وبعد هذا "**الغليان النغمي**" في هذا اللقاء الذي في ذروته يوجد حوار قصير متماثل حاد وكأنه يعبر عن قطبي اللقاء الذي يبدو وكأنه مغلفاً بتيار الروح القدس الجارف، سرعان ما ينحسر اللحن ويتقلص إلى جملة سريعة الانخفاض لتمهد إلى الجزء الرابع من اللحن والذي يعتبر قمة البناء الموسيقي وذروته في أجزاء اللحن الستة.

❖ **الجزء الرابع من اللحن:-**

لا أستطيع أن أتصور أن يصيغ قديساً لحناً طويلاً للعدراء دون أن يخطر بباله "نشيد التعظيم"، هذه التسبحة التي بلغت من القوة والعمق والسعة والشمول، ماجعلها تسمو إلى تسبيحات الملائكة وأن تنطق بمثل هذه العبارات، عبارات التعظيم والتسبيح التي انسابت من شفتها كنهر عذب صافي لتقول:

### "تعظم نفسي الرب وتبتهج روعي بالله مخلصي"

إنني أتساءل لماذا اختارت مريم أن "تسبح" بنشيد يبدأ بكلمة التعظيم؟؟ وكلمة مخلصي؟؟  
أهكذا كانت القديسة مريم عميقة الفكر واسعة الاطلاع في الكتب المقدسة، مدركة المواعيد، هل استطاعت في سرعة البرق أن ترجع بخيالها الروحي إلى نشيد التعظيم والخلص الذي رنم به موسى النبي وبنوا إسرائيل عندما قالوا:

"أرنم للرب فإنه قد تعظم، الفرس وراكبه طرحهما في البحر،

الرب قوتي ونشيدى. وقد صار خلاصي" (خروج 15:1،2).

لقد تعظم الرب في شخص موسى النبي، واستطاع من خلاله أن يعبر بشعب بني اسرائيل ويخلصهم من يد فرعون، هذا الخلاص الجزئي لشعب وليس لكل الشعوب. أما الآن فلقد تعظم الرب في شخص "مريم العذراء" ليستطيع من خلالها أن يعبر بالبشرية كلها ويخلصها الخلاص الكامل الغير المنقوص لكل العالم.

استطاعت مريم ببصيرتها الروحية أن تربط بين الأحداث، فصاغت هذه التسبحة التي فاقت تسبحة شعب بني اسرائيل في عبورهم العظيم، لذلك فالجزء الرابع هذا من اللحن هو ليس تسبحة شعب أوحده عبر بحر سوف، إنما هو تسبحة للبشرية جمعاء يجب أن يرددها كل الشعوب وراء العذراء مريم، إذ بها كان العبور من الظلمة إلى النور ومن القيود والأغلال إلى حرية مجد أولاد الله، ومن انتظار وترقب المواعيد إلى الحياة فيها. ومن التلاوة لجميع النبوات إلى التحقيقات الغير مسبوقه، ومن المن والسلوى إلى الخبز الحي النازل من السماء.

لذلك فالجزء الرابع هذا من اللحن هو أعلى وأحد وأجمل وأكمل جزء في الست أجزاء، وكانه قد وضع لتنشده كل الخليقة معاً بنفس واحدة، وهو الجزء الذي فيه تم النطق بالمقطع

اللفظي الثاني والثالث من الكلمة "xere"

فبالرغم من أن اللحن كله بمقاطعة الست مبنياً على أسلوب الميلسما أي الإطناب النغمي على المقطع اللفظي الأول وبالرغم من أن اللحن ظل هكذا حتى الجزء الثالث، إلا أنه في هذا

الجزء الرابع نطق بمقطعين لفظيين على دفعتين متتاليتين وذلك لجذب الإنتباه إلى أهمية هذا الجزء بإعتباره تسبحة العالم كله، وذلك بتمييزه عن باقي الأجزاء.

إنني عندما أستمع إلى هذا اللحن في هذا الجزء، أدرك تماماً أن الذي صاغ هذا الجزء كان يرى أن نشيد التعظيم الذي رنمته العذراء، إنما هو "نشيد الخلاص"، "نشيد العبور" وأنه ليس صادراً من صوت العذراء الرقيق الممتلئ نعومة، كما أنه ليس صادراً من شعب كشعب بني اسرائيل وهو يعبر في المياة وقد انتصبت مجاريها كرابية وقد تجمدت لججها في قلب البحر، بل كأنه صادراً من صوت البشرية بأكملها وهي تصرخ وتقول:

**"القدير صنع بي عظام وأسمه قدوس**

**ورحمته إلى جيل الأجيال...**

**صنع قوةً بذراعه... شنت المستكبرين بفكر قلوبهم"**

ليس أحداً يستطيع أن يفصل بين النشيدين نشيد العذراء ونشيد بني اسرائيل. فلقد مزجت العذراء في نشيدها بكلمات كثيرة من تلك التي ردها بني اسرائيل في نشيد الشكر والتعظيم والخلاص. إنها كانت تستمع إليه كل يوم في رجاء لم ينقطع، بل أنها كانت تحفظه على ظهر قلبها، يتردد صداه في أرجاء كيائها. أنظروا هذه المقارنة بين النشيدين:-

#### نشيد العذراء

#### نشيد العبور

- |   |                                  |
|---|----------------------------------|
| * تعظم نفسي الرب                          | * أرنم للرب فإنه قد تعظم         |
| * تبتهج روعي بالله مخلصي                  | * الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي |
| * لأن القدير صنع بي عظام                  | * يمينك يا رب معزة بالقدرة       |
|   | من مثلك.. صانعاً عجائب           |
| * صنع قوةً بذراعه                         | * بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر      |
| * شنت المستكبرين بفكر قلوبهم              | * نفخت بريحك فغطاهم البحر        |
| * عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمته            | * المكان الذي صنعته يا رب لسكنك  |
| * كما كلم أباؤنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد | * الرب يملك إلى الدهر والأبد     |

أليست تسبحة التعظيم الخارجة من فم القديسة الطاهرة مريم هي امتداد لتسبحة بني إسرائيل أو هي المكملة لها لذلك فهي أعظم ولذلك فالحن في قوته إنما لا يصور رقة مشاعر العذراء وهي تنشد إنما يصور الخيالات الروحية التي كانت في فكر العذراء وهي تنشد تسبحة ظلت تردها سرّاً وهي وحيدة في الهيكل حتى ذهبت إلى بيت يوسف النجار وظهر لها الملاك وبشرها وذهبت إلى أليصابات حينئذ لم تصبح التسبحة سرّاً إذ أن أليصابات أدركت هذا السر وكشفتها قائلة:

" من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ "

و"فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب"

عندئذ أصبحت هذه التسبحة هي نشيد الخلاص يرده كل العالم، فكان هذا الجزء الرابع من اللحن الرائع يفيض بالقوة أكثر من الجزء الثالث الذي كان أيضاً يفيض قوة ليجسد صراخ أليصابات.

واللطيف أن الجملة الختامية للجزء الرابع هي مماثلة تماماً للجملة الختامية للجزء الثالث منه فكلاهما سريع الإنخفاض بعد فترة طويلة تألقت فيها النغمات واحتدت. والآن، قد جاء موعداً لتستريح فيه الإيقاعات، ولتهدأ النغمات وتستكين، ولتتبدل المقامات في الجزء الخامس.

### ❖ الجزء الخامس من اللحن :-

يبدأ الجزء الخامس بطيباً متلكناً يجر جر نغماته في صعوبة بالغة وآلات البهجة الإيقاعية "الناقوس و المثلث" تصمتان برهة. كأنها الرحلة الشاقة التي قامت بها العذراء مع يوسف النجار من الجليل حيث مدينة الناصرة إلى اليهودية حيث بيت لحم مدينة داوود، وذلك لأنه لما اقتربت أيامها لتلد في تلك الأيام صدر أمرٌ من أوغسطس قيصر أن يكتب كل المسكونة كل واحدٍ في مدينته، فصعد يوسف إلى بيت لحم اليهودية لكونه من بيت داوود وعشيرته ليكتب مع مريم امرأته، فكانت هذه الرحلة الشاقة وهي حبلى في شهرها التاسع، على دابة لتقطع مسافة تقرب من الثمانين ميلاً هي المسافة من الجليل شمال فلسطين، إلى بيت لحم جنوب اليهودية.



وهل تنتهي الرحلة بسرير وثير لتأخذ قسطاً من الراحة، لا ... بل بسبب الإكتئاب وقد الكثيرون على بيت لحم فلم يجد يوسف النجار ومريم مكاناً في المنزل (الفندق) فلم يكن لهما هناك سوى هذه المغارة التي كانت بمثابة حظيرة للحيوانات.

رحلة شاقة لا تنتهي براحة بل باستمرار للتعب فكيف يكون اللحن إلا هكذا متلكناً بطيئاً؟؟ إنما سرعان ما يتحول الإيقاع البطيء بتدرج نحو السرعة، فيدب النشاط في اللحن إعلاناً للميلاد المجيد.

ميلاد فيه "ولدت ولداً بغير والد، من طلق لم يتقدمه مخاض بقوة تفوق الطبيعة" كقول القديس اندراوس اسقف أورشليم (مimir دخول السيدة العذراء إلى الهيكل الذي يُقرأ يوم 3 كيهك). هذا الميلاد الذي حدث سنة 5501 للخليفة، والذي به تبدد الخوف والظلام في ليلة قارسة البرد، استيقظ فيها الرعاة على الصوت الذي لا يمكن أن ينسوه:

**"لا تخافوا ... فهذا أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب،  
إنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب".**

إنه خبر ... تحولت فيه البشرية جمعاء من الظلمة إلى النور، لذلك يتحول المقام الموسيقي وتظهر نغمة لا b لأول مرة في اللحن وتظهر حولها نغمة أخرى هي مي b، إنه تغيير جذري للسلم الموسيقي إنه سلم جديد أليست هي كذلك ... ألم تلقب مريم بأنها "سلم يعقوب" التي رآها منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليه. (تك 10:28) أن الرب استخدم جسد العذراء ليكون سلباً ينزل به إلى أرضنا، وهذا الملحن القدير استخدم هذا السلم الموسيقي الجديد ليصعد بنا إلى مستوى الإبن المتجسد الذي تواضع ليرفعنا، فكان موفقاً في إختيار هذه اللحظة لتغيير المقام الموسيقي.

ولعل القارئ المستمع إلى اللحن يتساءل، لماذا في هذا الجزء من اللحن والذي يتغير فيه السلم الموسيقي وتظهر فيه علامات النصف بيمول لنغمتي الـ "مي" و "لا" تبدو هناك لمسة حزن طفيفة، فالمعروف دائماً أن علامات الخفض "النصف بيمول" في الموسيقى دائماً ما تعطي نبرة حزينة وطعماً داكناً لا يتناسب والحدث الميلادي العجيب.

والإجابة على هذا السؤال تنحسر في جزئين هما:-

1 - أن هذا اللحن هو لحن للعذراء والدة الإله "الثيوتوكوس" وليس لحن للمولود من العذراء. لذا فالقديس الذي صاغ هذا اللحن لم يقصد في هذا الجزء تجسيد أحداث

الميلاد العجيب كميلاد للابن الكلمة، لكنه بينما وهو يستعرض رحلة العذراء تعرض في سياقها للميلاد فلم يستطع أن يغفله، كما لم يستطع أن يتمركز حوله تاركاً موضوع اللحن وهو سيرة العذراء ورحلتها.

2 - إنه بعد الميلاد عندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، ليقدموه للرب وكانت التقدمة الواجبة للمرأة التي تلد ابناً ذكراً هي كبشاً حولياً (بن سنة) لتقدمة المحرقة، وحمامة صغيرة أو يمامة لذبيحة الخطيئة- أن سمعان الشيخ هذا الرجل البار النقي الذي كان ينتظر تعزية اسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل ان يرى تسبيح الرب، هذا عندما أتى بالروح إلى الهيكل أخذ الصبي على ذراعه وبارك الله وقال:

"الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام

لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام وجه جميع الشعوب.

نور إعلان للإمام ومجداً لشعبك إسرائيل".

وباركهما سمعان وقال لمريم:

"ها إن هذا وضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تقاوم.

وأنت أيضاً يجوز فس نفسك سيف، لتعلن أفكار من قلوب كثيرة) (لوقا: 22-35).

لذلك فإن هذا الرجل البار الذي الروح القدس كان عليه عندما أدرك بالروح الخلاص الذي صنعه الرب بهذا في ذات الوقت أدرك أيضاً هذا السيف يجوز في نفس العذراء الأم. أي سيف هذا الذي رأيته أيها الرجل البار، هل سبقت الزمن ورأيت منظر الجلجثة والصليب من بعيد يظهر، ويسوع معلقاً عليه كالمجرمين، هذا الذي بلا خطية، صار خطية لأجلنا، وهل رأيت العذراء تنظر إلى فوق إلى الراعي مخلص العالم وهي تبكيه قائلة:

"أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص أما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صليبك الذي أنت صائر

عليه من أجل الكل يا إبنى وإلهي..". (من قطع الأجيال)

لذلك كان على هذا الملحن أن عندما يمر يستعرض حياة العذراء في هذا اللحن الرائع، كان لزاماً عليه أن لا ينسى أيضاً هذا السيف الذي يجوز في العذراء فكانت هذه اللمسة الشبه حزينة المغلفة في هذا الجزء.

إلا أنه بالتدقيق في الصياغة الموسيقية للحن بشكل أشمل، نجد أن هناك ربط موسيقي بين هذه الجمل الموسيقية وبين الحوار القصير المتماثل الذي ظهر فيه "الغليان النغمي" بالجزء الثالث من هذا اللحن، والذي عبر به الملحن آنذاك عن قطبي اللقاء "العذراء وأليصابات".

وها هنا في هذا الجزء الخامس نجد حوار آخر مماثل في الشكل الإيقاعي، وفي الشكل النغمي إلى حد كبير. ولعل هذا الربط له فائدة موسيقية هامة تجعل اللحن غير مفككاً ومتماسكاً. إلا أنه ربما كانت له فائدة أخرى ليصور قطبي هذا اللقاء (مريم وسمعان الشيخ) في هذا الجزء الخامس من اللحن.

وبعد ذلك وقبل أن ينتهي الجزء الخامس بقليل، تظهر في اللحن جملتين تملأهما الحيرة والدهشة مع لمسة عذاب. والجملتين لهما صياغة لحنية متقاربة مع اختلاف نغمي بسيط ومع اختلاف في درجة الاستقرار.

وتكرار الجملة هكذا مرتين كأنما يؤكد هذه الحيرة وتلك الدهشة. وظهور "اللمس الموسيقي" لنغمة الـ "مي" الطبيعية Natural رغم ما حولها من مي منخفضة، يعطي احساساً بالإلتماس والإستعطف والتوسل.

ولعل القارئ العزيز يتساءل وما هي أسباب الحيرة والدهشة والعذاب وأين هو الاستعطف والتوسل في حياة العذراء. والحقيقة أنه بمجرد الإنتهاء من أحداث سمعان الشيخ وبعد أن أكملوا "يوسف ومريم" كل شئ حسب ناموس الرب يحكي إنجيل لوقا البشير (2 : 39-52) يقول الكتاب: أنهم رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة حيث كان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممثلاً حكمة. وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. ولما كانت له اثنتا عشر سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما. وإذ ظناه بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف. ولما لم يجدها رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجدها في الهيكل جالسا في وسط المعلمين... فلما أبصراه **اندهشا**. وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا. هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك **معدبين**.

وكأن واضع هذا اللحن أراد – قبل أن يترك الجزء الخامس من اللحن – أن لا يترك هذه الواقعة تمر دون أن يعبر عنها بالنعومات، فكرس هاتين الجملتين الموسيقيتين ليعبر عن حيرة

يوسف ومريم وهما يبحثان عن الطفل ثلاثة أيام من بينها يوم كامل قضياه في السير على الأقدام بحثاً عن الصبي يسوع بين الأقرباء والمعارف، كما عبر عن العذاب الذي أعلنته القديسة مريم عندما قالت له:

**"هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذرين"**

كما عبر الملحن عن الدهشة التي أصابتهما عندما أبصراه بين المعلمين كمعلم أبهتهم بفهمه وأجوبته وعن الدهشة التي أصابتهما عندما قال لهما:

**"ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي"**

أما مريم فكانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها!!

إلا أن واضع هذا اللحن هذا الموسيقي القدير الممتلئ بصيرة، فقبل أن ينهي الجزء الخامس أخذنا في لمحة سريعة إلى عرس قانا الجليل، ولم يأخذنا إليه من أجل أن نشارك أهل العرس أفراحهم كما فعل السيد المسيح محققاً الآية "فرحاً مع الفرحين" إنما أخذنا إليه لنرى من بعيد العذراء مريم، التي ملأت الشفقة قلبها وجاءت إليه في العرس بتوسل:

**"ليس لهم خمر"**

لم تقل شيئاً آخر ليسوع.. فقط ثلاث كلمات ملئهم التوسل والرجاء.. هذين اللذين ظهرا في نعمة واحدة استعطافية هي نعمة الـ مي الطبيعية. وبالرغم من أن يسوع قال لها:

**"ما لي ولك يا امرأة"**

وبالرغم من أن "ساعته لم تأت بعد" إلا أنه بعد التوسل والرجاء.. كان هناك الثقة والإيمان فقالت للخدام بثقة: "مهما قال لكم فافعلوه".

وبالتوسل والثقة كانت المعجزة الأولى التي غيرت المواقيت، فأنت الساعة التي لم يكن أوانها بعد. وما العجيب في ذلك فهو الذي بيده الزمن يقدمه ويؤخره كيفما يشاء. وبالتوسل والثقة تأكد مفهوم الشفاعة الذي يشك فيه الكثيرين وبالتوسل والثقة ينتهي الجزء الخامس من اللحن.

**❖ الجزء السادس من اللحن:-**

لذلك فالعذراء القديسة مريم التي تتشفع عن البشرية كلها تستحق التطويب، ففي شخصها استطاعت البشرية أن تقول "نعم" لله وأن تقبله مخلصاً لها. ففي مريم تم الإتحاد بين الله والناس. وفيها تأسست كنيسة العهد الجديد المفدية بدم المسيح المسفوك من جسده الذي أخذه من مريم. وفيها بلغت قداسة العهد القديم ذروتها في الإيمان والتواضع والطاعة لله.

لذلك فالجزء السادس من اللحن يعتبر مقدمة قصيرة (باعتباره أصغر جزء في اللحن) لكلمات التطويب التي أخيراً استطاع الملحن أن يتخلص من أسلوب الميلسما لينطق بها قائلاً:

**"السلام لك يا مريم الحمامة الحسنة"**

وبذكاء الموسيقي البارع قام هذا الملحن بعمل flash back لإحدى الجمل الموسيقية التي ظهرت في الجزء الرابع، والذي فيه استعرض "نشيد التعظيم" الذي قالت فيه مريم ببصيرتها النافذة للمستقبل:

**"هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني"**

فكان لهذا الـ flash back دوراً هاماً في ربط الجزء السادس من اللحن بالجزء الرابع منه موسيقياً وروحياً.

\* أما موسيقياً، فلأنه استطاع أن يسترجع هذه القيمة الموسيقية التي عبرت عن التطويب في نشيد التعظيم فجعلها لذيذة في الأذن وأصبح من الصعب نسيان هذه الجملة الموسيقية حتى أنه يمكن لوحداً من الشمامسة الذين يحفظون هذا اللحن، إذا ما فقد التركيز أثناء التسبيح في هذا الجزء السادس فإنه قد يخطئ فيستكمل بعد هذه الجملة ما يليها في الجزء الرابع فيجد نفسه في "دوامة موسيقية" كلما وصل فيها إلى الجزء السادس عاد إلى الرابع وهكذا حتى يتدخل "المعلم" فينتشله من هذه الدوامة الموسيقية.

وأما روحياً فلأنه بإعادة هذه الجملة في هذا الجزء السادس يكون قد تم استرجاع كل المعاني الروحية التي تضمنها نشيد التعظيم الذي هو نشيد الخلاص للبشرية كلها، والذي فيه نطقت شفتا العذراء " هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني".

الآية التي بسببها تحرك خيال هذا الملحن ففاض منه هذا اللحن بأجزاء الستة والذي ينتهي بالنطق بكلمات التطويب:

**"السلام لك يا مريم الحمامة الحسنة"**

وعند النطق بها يعود اللحن إلى مقام اللحن الثابت السنوي الذي يقال في أغلب الأحيان بدون الستة أجزاء الذي تم شرحها آنفاً.

فيا أيتها العذراء الطاهرة... نسألك أذكرينا أمام أبناك الحبيب ليغفر لنا خطايانا، ويا من تسربت بالشمس والقمر تحت رجلك وعلى رأسك اكليل من أثنى عشر كوكباً ... نسألك ألا

تحرمي البشر من أن تسطعي بنورك البهي وظهورك السنّي، ومجدك الذي جذب البعيدين إلى  
كليّ المجد والقداسة والطهارة إبنك الحبيب يسوع ربنا".



المراجع التي استخدمتها في شرح وتفسير وتحليل لحن  
شيري ني ماريا الكبير (مرد الإبركسيس الكبير)

- 1 -القديسة والدة الإله مريم العذراء الدائمة البتولية : القس: يوحنا حنين (كنيسة مارمينا بفلمنج -  
الإسكندرية) طبعة 1976.
- 2 -العذراء والكتاب المقدس : أيريس حبيب المصري (كنيسة العذراء  
بسموحة – الإسكندرية).
- 3 -القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي : القمص تادرس يعقوب ملطي (كنيسة الشهيد  
مارجرس باسبورتنج).
- 4 -القديسة مريم العذراء وتطويب الأجيال : نيافة الأنبا ياكوبوس (مطرانية الزقازيق زمنيا  
القمح).
- 5 -القديسة مريم العذراء (من سير القديسين) : ساجي سليمان عزيز.
- 6 -ملكة السمائيين والأرضيين : القمص لوقا الأنطوني – طبعة مارس 1992.

